الصيّاد
والصنّارة
د.مجد الأشقر
اشراف مجلة نور الثقافية

الصياد
والصنّارة
د. مجد الأشقر
إشراف مجلة نور الثقافية

عنوان الكتاب: الصياد والصنارة
اسم الكاتب: د. مجد الأشقر
التصنيف: قصة قصيرة
تصميم الغلاف: أنسام جاسم
تدقيق لغوي: عبير الحداد
تحت إشراف مجلة نور الثقافية

حقوق الكاتب محفوظة

مجلة نور الثقافية
رئيس التحرير: Ansam Gasem

الصياد والصنارة

حقوق الكاتب محفوظة

مجلة نور الثقافية
رئيس التحرير: Ansam Gasem

الكاتب د. مجد الأشقر

اشراف مجلة نور الثقافية

قصـة قصـيرة

حقوق الكاتب محفوظة

الكاتب د. مجد الأشقر

اشراف مجلة نور الثقافية

- للمرَّة الألف، لماذا لا تُصدِّقينني؟! كأن كلامي يدخل من أُذن ويخرج من الأذن الأخرى

مُزحلِقًا إصبعي عبر وجهي.

إلا أن إيفا لم تتمكن من استيعاب كلامي! لماذا لا تستطيع تفسير تأخيراتي المتكررة وغياباتي المستمرة. بدأتْ بالصراخ، وصارت تتفوَّه بكلام مُكرَّر سمعتُه في مرَّة سابقة، مثل: «ماضيك صفحات سوداء»، أو «الرجال خائنون»، أو «إحساسي يقول لي ذلك».

شعرتُ بانهيارها. هبطت إيفا على الأريكة المُثبتة إلى الأرض. حضنتْ صفحة وجهها بين راحتيها. صارت تُهَدهد مثل كائن صغير ضائع، وتَئِنُّ مثل أُمٍّ ترثي موت أولادها

إلا أن إيفا لم تتمكن من استيعاب كلامي! لماذا لا تستطيع تفسير تأخيراتي المتكررة وغياباتي المستمرة. بدأتْ بالصراخ، وصارت تتفوَّه بكلام مُكرَّر سمعتُه في مرَّة سابقة، مثل: «ماضيك صفحات سوداء»، أو «الرجال خائنون»، أو «إحساسي يقول لي ذلك».

شعرتُ بانهيارها. هبطت إيفا على الأريكة المُثبتة إلى الأرض. حضنتْ صفحة وجهها بين راحتيها. صارت تُهَدهد مثل كائن صغير ضائع، وتَئِنُّ مثل أُمٍّ ترثي موت أولادها.

تناهى صوت رياح قوي. صار الكوخ يتأرجح، بينما نوافذه تَصْطك وتتحرَّك محاوِلةً الاحتماء ببعضها، كأنها تسعى إلى مزيدٍ من التقارب والتشبُّث.

في كل مرَّة نختلف فيها، ينتهي بنا المطاف كذلك؛ إيفا تستسلم بعد أن تسيطر عليها مشاعرُها، تصبح هشَّة. يُصيبني الخذلان، فأُصبح ضعيفًا لضعفها. يَرِقُّ قلبي، أقترب منها، أحاول أن أشرح لها. صورتي في مُخيلتها ليست كما تظن، أُرطِّب عَبَراتها بكلمات أرتجلُها. وإذا كنتُ محظوظًا، أُقدِّم لها باقةً من الورود ابتعتُها في طريق العودة إلى المنزل.

- سيغفريد.. أنت تعلم أنني أحبك أكثر مما يمكن أن تُعبِّر عنه الكلمات.

قالت لي إيفا. غطَّت وجهها براحتَي يديها. رفعتْ ذِروة رأسها حتى صار خيطٌ من عيونها الحمراء المبلولة متلألئًا.

- قابلتُ كل الانتقادات من أهلي وغيرهم، فقط لأبقى بجوارك.

فتبدأ الحلقة الثانية، الندم والحسرة.. رَمْي المسؤولية، وتكليف الآخرين بها. للأسف كلامها صحيح. احتضنتْ إيفا عيوبي، وقَبِلتني كما أنا، مخلِّفةً صفًّا كبيرًا من الرجال أصحاب النفوذ والمال. احتضنتْ إيفا الحياة في الكوخ بجانب البحر؛ حيث الرمال والأمواج، تاركةً رفاهية القصور وحياة البذخ والملذات.

كان صوتي الداخلي يقول: «صالِحْها.. الروتين مُمل، الزواج ليس لعبة سهلة، علينا تحمُّل بعضنا البعض في مثل هذه الأزمات».

أرسلتُ نظرة إلى الأرضية.. أصبحتْ هشَّة، تَسرَّب الماء إليها ففعل فيها ذلك.

- علينا تبديل الأرضية، وإلا تحوَّلتُ أنا لقرش، وأنتِ لسمكة.

لم تستطع إيفا كتمان ضحكةٍ خرجت من بين أسنانها. قالت:

- أحيانًا.. أتمنى أن أتمتع بقدرتك السريعة في التحويل بين المواضيع.

- عزيزتي، كنت أود أن أُقدِّم تعليقًا هامًّا قبل أن ينقضي الوقت.

تغيَّرتْ تعابير إيفا في لحظة، مثل كبسة زِر. قالت بانفعال أشد من السابق:

- ليس لموضوعنا الأساسي أهمية! إصلاح المنزل ذو أهمية أكبر!
(تبديل هذه العبارة لتصبح الجملة أجمل)

حان ميعاد «المعوذات»، صِرت أقرأها في سرّي.

تنهدتُ بشكلٍ عفوي، من غير التفكير أن ذلك يمكن أن يُحدِث أثرًا يُذكَر.

عادت تصرخ وتُلوِّح بذراعيها:

- ليس لديك ضمير أو إحساس، كل شيء يخصني تافه ورخيص ودون قيمة.

حتى إنها اقتربت ودفعتني من كتفي عدداً من المرات، حتى تَمَكَّنَتْ من إلصاقي بالباب، ثم فتحَتْه. فأدركتُ أنني اليوم وصلت إلى مرحلة جديدة في الخلاف معها.. لن يكون بإمكاني اليوم النوم في المنزل.

خرجتُ دون أن أقول كلمة واحدة، فزاد ذلك في الطين بِلَّة.

- ليس لديك ما تقوله.. أنتَ أصلًا لا تجيد شيئًا غير العمل والسَّهر.

شعرتُ للحظةٍ بالتوتر، وكأني مربوط بحبال وهميَّة في جوارحي وجسدي. مهما حاولتُ فِعله.. نفس النتيجة. حتى الصمت، جريمة لا تُغْتَفَر. رطمتْ إيفا الباب بوجهي، فخلَّف ذلك ريحًا قويَّة تَزعْزَع لها الكوخ بأكمله. شققتُ طريقي بين مجموعة من المنازل المتهادية، محاوِلًا تفادي أي نظرات شائكة من النوافذ أو أطراف الأبواب. كان تفكيري مصبوبًا على صورة واحدة.. البحر!

حطَّت عيناي لا شعوريًّا على الصيَّاد بنهاية الجسر الخشبي المتداعي. غضَّنتُ حواجبي، ونظرتُ إلى الساعة الإلكترونية التي أهدتني إياها إيفا في عيد ميلادي «السابعة مساءً!». تساءلت وأنا أحوِّل رأسي بين الساعة والرجل بجانب المِغطس الصغير الأخضر خلف ظهره

رفضت فكرة الرمل، جرَّتني أفكاري بشكلٍ غريزي إلى الصيَّاد، وما إن قطعتُ الجسر المعترض منتصفَ البحر، قلت له وأنا أنظر إلى البحر متحاشيًا النظر في وجهه:

- هل الصيد ممتع لهذه الدرجة.. أليس لديك أيُّ عمل آخر تقضيه بخلافه؟

لفت نظري الحوض الأخضر الذي بحوزته. لم أعثر على سمكة واحدة! كان السَّطل فارغًا تمامًا، تَسبح فيه حفنةٌ قليلة من التراب معكِّرةً لونه. صَدَمني ذلك؛ فإنه لم يَصطَدْ شيئًا منذ الصباح.

- في مثل هذا الموسم؛ حيث الرياح شديدة، لا تتجمع الأسماك على سطح الماء.

شعرتُ بأني أكلِّم نفسي، وشعرتُ بأني ساذج للغاية، فلماذا أُسدي النصيحة لشخصٍ لا يريد التكلم مع أحد.. إلا أن صورة جلوسه على حافَة الجسر الخشبي، بجانبه السَّطل الأخضر الذي جعل فضولي يشتعل، وصمتُه دفعني للتكلُّم أكثر. ذكَّرني بلحظة صمتي في خلافي مع إيفا. قلت محادثًا نفسي ناسيًا أن الصيَّاد بجانبي: «هكذا تَراني إيفا إذن».

وكأن جسداً بُثَّت فيه الروح. تَحرَّك القِسم العُلوي من جسد الصيَّاد المتصلِّب، ودارت عيونه لي، فشعرتُ للحظةٍ بشعور مُباغِت غريب، كما لو كان العدو المتربِّص خلف الحشائش آيلًا للهجوم. قال بصوت عجوز هَرِم:

- دع عنك الآن هموم المنزل، ورافِقْني في رحلتي.

جلستُ دون أي ممانَعة. تفرَّستُ في الصِّنارة التي كان يحملها.. صِنارة صيد عادية، حبلُها طويل مُتراخٍ، مصنوعة من معدن صلب صَدِئ. ابتسم لي الصيَّاد من طرف شفتيه.

- إنَّك دقيق النظر يا سيغفريد.

لم تفاجئني كثيرًا معرفة هذا الرجل الغريب اسمي (في قصص الأطفال والخيال، يعرف كلُّ الناس بعضهم البعض، دون أن يشرح أحدٌ وجه الترابط). لوَّحتْ هذه الخاطرة الغريبة في سلسلة أفكاري، فنمَّت عني ضحكةٌ مُخاتِلة.

- يبدو أنك بحاجة إلى صِنارة جديدة.

مشيرًا إلى حوض الأسماك الفارغ. لم ينطق الصيَّاد بحرف واحد، بل دفع الصِّنارة إلى يدي، ثم قال بهدوء وعناية:

- يبدو أنك مَن بحاجة إلى هذه الصِّنارة.

مستغربًا أكثر مما قاله، ومتفاجئًا من وَضْع الصِّنارة العتيقة المُهترئة في يدي. انتابني شعور غريب، سَرَت في جسدي القشعريرة، وانتصب شعر يدي. كانت نظرات الصيَّاد مبتهجة، متفائلة، كما لو كان يُعلِّم حفيداً صغيراً دَرْسًا تَعلَّمه في صغره. أصابني الشعور ذاته، شعرتُ بنفسي وَسْط حضنٍ دافئ بين كل كومة الفوضى التي أعيش فيها. قلَّبتُ الصِّنارة بين يدي، محاوِلًا العثور على فجوة غير عتيقة فيها، يمكن الاستفادة منها لتنفعني باصطياد شيء. قال لي العجوز مثبِّتًا الصِّنارة وأنا أجرِّبها:

- إنها ليست للصيد.. جميع مَن جرَّبوها سابقًا يدْعونها اللعبة.. لكني أُطلِق عليها الاختبار

إذن الصِّنارة مفيدة بشكلٍ أو بآخر، ترددتْ كلمة «اختبار» في جمجمة رأسي، مرت صور لي مع إيفا ونحن نختلف في المنزل. ماذا يقصد بـ«اللعبة» أو «الاختبار»؟! زادت هذه الكلمات من فضولي. ارتفع معدَّل الأدرينالين في جسمي. انطلق تعليقٌ من رأس لساني:

- لعبة مع الأسماك والقروش.. هه.

فقال ممازحًا:

- ألم نتَّفق أن الأسماك ليست موجودة هنا؟

نعم، اتفقنا على ذلك. «لكني لم أكن أتوقَّع فعلًا أن الصِّنارة لا تصطاد الأسماك، بل أشياء أخرى»؛ قلت في نفسي.

ترك الصيَّاد ذو الشعر الأبيض عزمه على الصِّنارة، وانقلبت تعابيره إلى تعابير صارمة حادة. قال بصوتٍ جاد:

- ولكن في كل مرَّة تفشل فيها.. عليك دَفْع سنة من عمرك مقابل ذلك.. أي، عليك التضحية بجزء من حياتك.. هذه قواعد اللعبة.

بدأتْ أقواله تَبثُّ الخوف في أوصالي، دَفْع سنة من عمري! وأنا لا أعلم بعدُ ما نوع التحدِّي. هذه فجوة واضحة في حُسن قوانين هذه اللعبة التي أنا على وشك خوضها. لا تُخاض الألعاب هكذا. هذا الذي أقوم به هو فِعل «الخيميائي» ليس فِعل الاختبار. لا يسحب منك الاختبار عمرك، إما أن تربح وتحصل على وسام الشَّرف، أو أن تخسر وتخرج مهزومًا.

تغطَّت الشمس بلحافٍ من الغيوم، وتَحدَّد قرصُها الأرجواني. بدت لي في الغروب أصغر حجمًا. لَسَعتنا موجةٌ حادة من موجات الرياح. قال الصيَّاد مستشعرًا البرد في شكل وجهي:

- ما عليك إلا أن تدير الدولاب الخاص بالصِّنارة دورةً.. حينها سوف يبدأ الاختبار.. تَذكَّر.. الفشل يعني سنةً من حياتك.

وفيما أنا أقول: «وماذا يعني النجاح؟»، في وسط الجملة.. تحرَّكت أصابع يدي لاشعوريًّا، فقبضتُ على الأسطوانة ذات الخطَّاف، فحرَّكتُها نصف دورة.. شعرتُ بنفسي أتمخَّض من الداخل، كأنني في دوامة سحبتني إليها، وسمعتُ صوتي وأنا أطرح سؤال نجاحي يتبعثر كما لو كنت داخل حوضٍ من الماء.. انصهر جسدي بالكامل مع الدوامة، وانسكبنا في الحوض الأخضر العكِر!

وجدتُ نفسي وسط جمهرة كبيرة من الناس، كانوا جالسين إلى طاولة مدوَّرة غلَّفها شَرْشَف أحمر من المخمل، ومَنافِض صغيرة من الزجاج امتلأت بأعقاب السجائر. كنت أحمل مجموعة من الأوراق بيدي، توضِّح لي بسرعة أنها أوراق شدة. ثُريَّات عملاقة ممتدة على طول السقف، تحيط بها طبقات عريضة من الجدران المطلية بالأبيض، والمطرَّزة بخيوط ذهبية مُعتنًى جدًّا برسومها.

ألقيتُ نظرةً سريعة على نفسي دون أن ألفت نظر خصومي. قميصٌ أبيض من الساتان تحت فانيلا مُهندَمة. أنا أحمل ورقتين، وبيد كل خصمٍ من خصومي نفس العدد. رمى بعض المشاركين أوراقهم مفتوحةً على الطاولة. جَمَعها نادِلٌ كان يقف بين رَجلين بدت عليهما السيادة أكثر من غيرهم. بَقِينا ثلاثة لاعبين. أعرف هذه اللعبة حتمًا، «بوكر» بالتأكيد. لمع اسم اللعبة في رأسي. علقتُ عيوني على امرأة وقفت خلف أحد الزعيمين، أرْخَت يدها على كتف بدلته. كان يحمل بين أصابعه سيجارًا بنيًّا عريضًا. انقبض قلبي بمجرد أن أدارَتْ عينيها صوبي. شعرُها الأسود الطويل المموَّج، وحمرة شفاها الناصعة، وفستانها الأحمر الذي يضيء الصالة. عرفتُ في لحظةٍ أن قلبي وقع في ورطة حقيقية. ألقيتُ نظري بسرعة خاطفة إلى الأرض، في حين صوَّب الرجل عينيه تجاهي. قال بصوت رخيم أجشٍّ:

- رِهانك!

مُحاوِلًا الإسراع كي لا أثير الشكوك، دفعتُ كومةً من العُملات المعدنية كانت تَسبح على الطاولة بحوزتي؛ لتختلط مع بقية العملات الأخرى فتشكِّل خليطًا من الألوان، الأزرق والأصفر والأحمر والأخضر. تَكوَّن جبل عالٍ من النقود الملوَّنة. كشفنا جميع الأوراق. جمع الرجل ذو الصوت الرَّخيم النقود، يتأبطها كما لو يتأبط صديقًا عزيزًا عليه. ارتسمت ابتسامة خاطفة على طرف شفتيه وهما يلتقمان عود الثقاب العريض. أصابني مثلُ

المخاض فجأة، تَغبَّش العالَم حولي، ظهرت الدوامة من جديد وسحبتني إليها؛ لأعود وأنا منقطع الأنفاس إلى حضن الجسر الخشبي، عاصرًا على الصِّنارة أكاد أُفتِّتها. خرجتْ ضحكة مُزعجة من الصيَّاد بجانبي، لحظات وأنا أتنفَّس بصعوبة كما لو كنت أهرب من وحشٍ كبير مُرعب. انتابني صُداع مؤلم في صُدغي. قدَّم لي العجوز كأسًا ملأها من مياه البحر.

- اشرب.. سوف تُهدِّئ من نفسك.

شربتُ رغم ملوحة المياه، عاد وضعي طبيعيًّا.

- كان عليَّ حساب أوراقي قبل المقامرة.

قلتُ في ندم.

لفت انتباهي وجود خدش بسيط لم يكن موجوداً قبل دخولي مضمار الصِّنارة السحرية. ربَّت الصيَّاد على كتفي بحنان:

- ركِّز على الهدف.. هذه خدوش بسيطة.. تَحصل كثيرًا.

تنهدتُ، ثم رفعت الصِّنارة إلى الأعلى، كما لو كنت على وشك صيدٍ جديد بأمل وحافز جديدين.

أدرت المسنَّن دورة كاملة.

انتابني مغص في الأمعاء. خرجتْ من الصِّنارة دوامة حلزونية سريعًا ما أحاطت بي. اندمجتُ مع الدوامة، فدخلتُ في السَّطل الأخضر مجدَّداً.

وجدتُ نفسي في نفس المكان السابق، لم يتغيَّر شيء باستثناء عودة الزمن بضع دقائق.

كنت ما أزال أحمل الأوراق.. ورقة القصِّ، وورقة من فئة العَشرة. بدلاً مِن أن أركِّز على المحيط هذه المرَّة، صببتُ جام تركيزي على الأوراق المفتوحة على ظهر الطاولة، كانت خمسة أوراق: «شب، بنت، قص، وورقتان من فئة الاثنين». فكرت مليًّا في جميع الاحتمالات. سبق لي ومارستُ لعبة البوكر مع بعض أصدقاء العمل، لكننا لم نمارسها باحترافية، وكانت المُقامرات غير مُحرزة.

جعلت أعصر رأسي، محاوِلًا تذكُّر حِيَل للفوز. ما هي الكروت الرابحة أكثر من غيرها؟ وجميع المجموعات العالية التي تَضْمن لي ربحًا مؤكدًا؟ سبَّب لي هذا التفكير بعض الإحراج؛ فقد بدأ الرجلان مفتولَا العضلات يحدِّقان بي بإشارات استفهام. قال ذو الشارب الثخين وصاحب التسريحة إلى الخلف:

- أَتجْمَع الأوراق؟

مثيرًا ضحك زميله - الذي كانت تجلس بمحاذاته الفتاة الحسناء نصف جلسة - بشعرها الأسود الحريري الطويل، وفستانها الأحمر المثير.

- إنَّه لا يعلم من يلاعب.. هاهاها

دفعت «الكوينات» إلى المنتصف. ارتفعتْ أمارات الاستفهام. إنه تصرُّف مجنون. عليهما إضافة مبلغ جديد لتصبح المَبالغ الثلاثة متساوية. هذه شروط اللعبة.

صاروا ينظرون إليَّ بتحدٍّ ووجوم. زالت نظرات الشفقة والاستخفاف.

قلَّب النادل الأوراق، فما كان منهم إلا أن تقافزوا من شدة الضحك.

- هاهاهاها.. الأحمق..! دفع نقوده بأكملها مرَّة واحدة!!

- بعد كل هذا التفكير..!! هاهاها

لم تتغيَّر النتيجة، بل إنها أسوأ مما سبق، فقد خسرتُ أكثر من المرَّة الفائتة. انفتحت البوابة، سحبتني من جديد..

عدتُ. أمسكت نفسي عن التقيؤ، رغم أن أمعائي كانت في حالة سيئة.

- سوف تتأقلم مع الوقت.. إنها فقط البداية.. لا تقلق.. سوف يعتاد جسدُك على هذه التغيرات.

لا أستطيع الجزم، شيء ما غريب طرأ عليَّ. شعرتُ بتعب بسيط يتملَّكني. جسدي لم يَعُد كالسابق. مرور سنتين في لحظاتٍ استطعت الشعور به أكثر مما لو كان الوقت يمر ببطء.

- لكنني حسبت الأوراق جيداً في هذه المرَّة..!! كان لديَّ قيمة أعلى من قيمتهم. كان يجب أن أفوز!

أنصتَ الصيَّاد بإمعان. أومأ برأسه قبل أن يقول متفهِّمًا:

- أحياناً لا تكون أهدافنا واضحة في الحياة.. نخسر عدداً من السنوات حتى يتَّضح لنا أن ما كنا نسير خلفه وهمٌ.. وما كان يسير خلفنا هو الحقيقة.

إنها الفلسفة التي يتكلم بها من جديد.

تمنَّيتُ لو يشرح الأمور بطريقة أبسط، حتى لا أضطر إلى خسارة سنوات أكبر من عمري. حملني شعور غريب - نما في داخلي - إلى المتابعة. كان إصراري هو الشيء الوحيد الذي يَفصلني عن الاستسلام.

- أريد أن أحاول من جديد.

حرَّك الصيَّاد رأسه بالإيجاب. دفع الصِّنارة إليَّ. أدرتُ العَجلة عدة مرات حتى تكررت الأحداث.

هذه المرَّة لم أفكر كثيرًا. دفعت مجموعة النقود دون أن أنظر إلى الكروت التي كانت بحوزتي. سلَّم عددٌ من الرجال أوراقهم، مُعلنين الاستسلام، وبَقِينا نحن الثلاثة، أنا والرجلان: الرجل صاحب الشارب العريض والتسريحة الخلفية، والآخَر الذي تجلس بمحاذاته الحسناء.

جمع النادل الأوراق الستَّ، عَرَضها بعد أن أعاد ترتيبها. لَمْلَم الرجلان النقود.. عُدت إلى نقطة الصفر! صرخت بمجرد أن لامستْ قدمي مياه البحر.

- أنا لا أفهم..!! ما مشكلة هذه اللعبة؟! إنني متأكد ألفًا بالمائة أن قيمة الأوراق في يدي تعلو قيمة الأوراق في أيديهم. لقد جمعتُ القيم أكثر من مرَّة. هذا لا يُعقل، إنه احتيال.. إن اللعبة ممسوسة!

لم يحرِّك الصيَّاد ساكنًا، بدا أنه يريد التلميح بأمر، لكنه عاجز عن قول شيء.

- قل شيئًا مفيداً، لقد خسرتُ ثلاث سنوات من عمري!

- للأسف لا يمكنني.. هذه قواعد اللعبة!

- عن أية لعبةٍ تتحدث؟

- لا تقلق بشأن هذا الأمر، سوف تفهم لاحقًا.

لم أراهن هذه المرَّة، بل رميتُ الأوراق، وجلست خلف الكونتوار على واحد من الكراسي العالية.

أشعلت عوداً من السيجار عثرتُ عليه في إحدى الحقائب الداخلية للفانيلا. كان سيجارًا من نوع ثقيل.

من الغريب أنني لم أعُد. يبدو أنَّ اجتياز العَقبة الأولى لم يكن بالمنافَسة أساسًا. تركتِ الحسناء جليسها، وتقدمتْ:

- يبدو أن اللعب معك ليس سهلًا.. أنا مفتونة بثقتك العالية.

فيما أنا أشعل عود سيجارتي المُثبَّتة في طرف فمي.

- أنتِ.. إممم.. لا تبحثين عن المال على ما أظن.

قلتُ. فارتسمتِ ابتسامة عريضة على طرف فمها.

- من أين عرفتَ ذلك؟

- لا يبدو أنكِ من محبِّي الجاه والنفوذ.

فوجدتُ نفسي عائدًا من أين أتيتُ. قال الصيَّاد وأنا أستعيد أنفاسي:

- لا يجدر بك الحديث في هذا الأمر، إنه ممنوع.

- كل شيء ممنوع في هذا العالَم! اللعب ممنوع.. والحديث ممنوع.. والحب ممنوع! ماذا أيضًا؟ تنفستُ الصُّعداء.

- كم من الوقت تبقَّى لديَّ؟

لكنه طبعًا اختار الصمت..

- سوف أجعلها مِلكي.. تلك الجميلة!

قلت، بينما أدير العَجلة المُثبتة في أول الصِّنارة.

تركتُ اللعبة. جلست خلف الكونتوار. اغتنمتْ داليدا فرصة انشغال الرجال بأحاديث السياسة.

- لستَ لاعبًا هاويًا.. لقد أخطأتُ الحُكم عليك.

مددتُ يدي.

- سيغفريد.. يسرُّني معرفتكِ.

- ما هذه المصادفة! زوجي أيضًا يُدعى سيغفريد.

انفجرت عيناي، يا للمصادفة..!

- ماذا تفعل يا سيغفريد؟

- أنا لا أصلح لشيء.. فقط للبوكر.. ههه.

ربَّتتْ داليدا على كتفي:

- دَعْك من المزاح.. إنَّك تثير فضولي.. ليس أحدٌ - أيًّا مَن كان - بإمكانه فِعل ذلك.

- في الحقيقة، أنا أعمل في مصنع لتعليب المأكولات البحرية.

في ومضة عين، انتقلت إلى حِقْبتي الحقيقية.

- ماذا فعلتُ؟

تساءلتُ غاضبًا. كرَّر الصيَّاد عبارتي الأخيرة بنكهة ساخرة.

- أعمل في مصنع لتعليب المأكولات البحرية؟!! موظَّف في مصنع يرتاد صالات البوكر، ويرتدي بدلة باهظة الثمن!!

- وهل تريد مني إخفاء الحقيقة!

فقال الصيَّاد ماسحًا وجهه بالهواء بعدم رضا.

- جمِّل الحقيقة..! جمِّل الحقيقة يا سيغفريد!

مر الوقت. صِرتُ منتقلًا بين العالَمين لأكثر من عشرين مرَّة. تغيَّرتْ معالم وجهي بالكامل. اصطبغ لون شعري بالأبيض. ملأت التعاريج جبهتي ووجنتيَّ وأسفل رقبتي. ذبلَ ضوء عيوني. صارت حركتي أصعب. صار ظهري مقوَّسًا. ذراعاي ثقيلتان. كلَّما نظرت إلى الصيَّاد.. وجدتُ في نفسي شيئًا غريبًا، أمرًا رافقني منذ البداية، شعورًا داخليًّا غير ملموس.

اجتزتُ مرحلة البوكر، واللعب مرَّة أخرى، ورِبْح مَبالغ كبيرة. تحوَّلتُ من طفل صغير يحبو بخطواته الأُولى.. إلى رجلِ أعمالٍ هام في القِمار والعربدة والمشروب.

صارت جلساتي في العالم «الموازي» طويلة.

جلستُ أنظر لنفسي القبيحة.

- ما الأمر؟

سأل الصيَّاد. استَسْخَرتُ سؤاله.

- لا تقُل لي ما الأمر، وأنتَ تعلم ما يجري من البداية.

نظرت إليه بعينين حمراوين، متابعًا:

- سيغفريد.. أنتَ.. وأنا.. نحن.. نفس الشخص! لقد علمت من البداية.. أني سآتي إليك.. أني سآتي إلى نفسي التي تمنَّيتُ أن أكون عليها لو كان لي الخيار لاستبدال حياتي الحقيقية.. بهذه الحياة..

قلت ماسحًا دمعة مُخاتلة هبطت على خدِّي:

- لماذاااا.. لماذا ظهرتَ لي طيلة هذه السنين.. ماذا تريد مني.. هل تريدني أن أعيش حياة المُتعة والرفاهية.. وأستبدل بزوجتي صالةً حمراء ونساء عاهرات.. هيا تكلَّم..!!

حافَظ سيغفريد العجوز على هدوئه.. زال أثر الابتسامة، وحلَّ محلها واحدة زائفة. بعد مزيدٍ من الصمت تكلَّمَ:

- على العكس.. أردتُ أن تُحافظ على حياتك الثمينة هذه.

فهَمْهَمتُ بسخرية:

- أحافظ عليها.. بعد كل هذه الخسارة!!

مشيرًا إلى حالتي الميؤوس منها.

- ماذا تَبقَّى.. عدد محدود من السنين. زوجة تعتقد أني في عِداد الموتى! أهذا ما قصدتَه بالمحافظة على حياتي..؟!

متَّع غضبي سيغفريد العجوز. وجدته يتسلَّى برؤيتي أستشيط غضبًا، وأحترق على سنوات عمري الضائعة.

- لكنني حاولتُ مَنْعك أكثر من مرَّة.. ألا تَذكُر.. سيغفريد الرجل برُفقة داليدا.. وداليدا.. التي أرسلتُها إليك.. كنتُ موجوداً معك طيلة المدة في الداخل، أحاول إرسال الإشارات. إلا أنك عنيد .. عنيد جدًّا.. لا تَقبل الخسارة.. تريد الفوز حتى ولو على حساب أغنى شيء لديك.. تريد أن تَحصل على اللقب.. ولو كلَّفك الأمر حياتك بالكامل. ضيعتَ عدداً كبيرًا من السنين في تكرار نفس الشيء.. تكرار البوكر، الحديث مع داليدا أو غيرها، اللهو والقِمار، الكحول والمشروب.

كززتُ على أسناني. صار الغضب يخرج مع كل زفير. تخيَّلتُ نفسي أخنقه.. وأرميه في قاع البحر. لكنني لم أتعلَّم في العالَم «الموازي» أن أكون قاتلًا.. بل تعلَّمتُ أن أكون عربيداً سكِّيرًا.
قال:

- أتعلمُ يا سيغفريد.. لَطالما دارت هذه الفكرة في رأسي مراتٍ عدة. كنتُ دائمًا أؤمن بوجود عالَم «موازي»، عالَم يعيش فيه نفس البشر.. ولكن بطريقة مختلفة.. عالَم يعيش فيه كل أحد.. حيث يتمنى.. حيث يريد أن يكون.. حيث تتورَّد الأحلام ويَنصَع الخيال. هذا العالَم دَعوتُه بالعالَم الآخر.. أو كما قلتَ أنتَ سابقًا: بالعالَم الموازي.. فحيث أنتَ تعيش هنا.. في كوخ صغير.. في جزيرة بسيطة.. في قطعة مهمَّشة على سطح الأرض.. يعيش أحدٌ آخَر.. لديه نفس العقلية.. ونفس الأفكار.. ونفس الشخصية.. يُشَابهك تمامًا ولا يُشْبهك.. في مكانٍ بعيد في اختلافه بُعد الأرض عن السماء. يُعامل مُعاملة مختلفة.. يختار طرقًا أخرى.. ويصل إلى نتائج جديدة.

«أنا على سبيل المثال!!» أنا اخترتُ أن أنتمي إلى عالَم البوكر.. إلى عالَم القِمار.. إلى عالَم المبارزة والتحدي. اخترتُ أن يلعب الحظُّ الجزءَ الأكبر من حياتي.. تركتُ كروت شدة بسيطة عليها أرقام وحروف لِتُوجِّه قارب مستقبلي.

انظر على ماذا حصلتُ! انظر إلى المستقبل الذي وصلتُ إليه! انظر إلى نفسي! إلى مستقبل العربدة والمجون وحَرْق الضمير واستفزاز النفس.. ومُلاحقة نساء لا تعلم المعنى الحقيقي لكلمة «امرأة» أو «زوجة» أو «أُم»... ببساطة، دمَّرتُ حياتي بنفسي!! قلبتُ كل طاولة خير قدَّمها الله لي.. وبصقتُ على كل نعمة دُبِّرت لأن تكون على مسار طريقي.
والآن بعد أن تبيَّنتْ لك حقيقة كل شيء.. واتضحتْ لك الطريق المُختصرة لِنَسْف الحياة وهَدْمِها.. عُد إلى منزلك يا سيغفريد، أَصلِح أمرك مع إيفا، وكن رجلًا صالحًا حسنًا

قبض سيغفريد العجوز على الصِّنارة. لأول مرَّة أراه يحملها بطريقة احترافية. عصر بسرعة على الخطَّاف المدوَّر. وهذه المرَّة، بدلًا من أن يديره دورةً إلى الأمام.. بدأ بتدويره عددَ مرات إلى الخلف. تَغيَّر العالَم حولي كما لو كان الزمن يَسري بسرعة البرق أمام عيني، فيتعاقب النهار والليل في أجزاء من الثانية. ثم توقَّف الدوران!

كانت أمواج البحر هادئة، والجو عليلًا، والنسمات هادئة. الوقت نفسه الذي قَبِلتُ فيه لأول مرَّة حَمْل الصِّنارة. اللحظة التي سمحتُ لنفسي فيها بالجلوس إلى جانب نفسي الأخرى من العالَم «الموازي».

كادت عيوني تنفجر من المفاجئة. لقد عاد جسدي إلى السابق. زالت آثار السنين التي مرت. وجدتُ سيغفريد العجوز يتبخَّر بجانبي. قال قبل أن يختفي أثرُه بالكامل:

- ((عِش الحياة التي يرضاها عقلُك.. ليس تلك التي يرضاها جسدك)).

انتهت بعون الله

مجلة نور الثقافية